# الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج
# ( ٢٠٠٣ – ٢٠١٠ )

غادة جمال مكي
قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات جامعة بغداد، العراق.
*(تاريخ القبول بالنشر: 28 تشرين الثاني 2013)*

**الملخص**

**تناول البحث مجموعة من الروايات النسوية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣، لمعرفة مدى انعكاس الواقع السياسي والاقتصادي و الاجتماعي العراقي في هذه النصوص الروائية والى أي درجة أثر هذا الواقع المؤلم في نفسية المرأة المبدعة وكيفية رؤيتها لهذا الواقع المر . فقد ركز هذا البحث على ثيمة الحروب المستمرة والمتواصلة في حياة العراقيين وكيفية التعبير عنها من وجهة نظر النساء ، فقد عبرت المرأة الكاتبة عن هذه الثيمة المهمة بشكل مغاير تماما عن الطرق التقليدية التي اعتدنا أن نقرأها في الروايات الذكورية – التي ركزت على الصراعات والتضحية والمبدأ من اجل الوطن – فكان جل اهتمامهن معاناة العراقيين النفسية والإنسانية من جراء هذه الحروب وما عانته المرأة العراقية على وجه الخصوص من ألام سواء كانت بسبب الحروب وما جلبت لهن من مصائب كنساء أو بسبب بطش السلطة الدكتاتورية كما حصل مع هدى بطلة رواية ما بعد الحب لهدية حسين . فقد عبرت الروايات النسوية في هذه المرحلة عن بطش السلطة الحاكمة آنذاك وتعرضت لكل المظاهر السلبية للنظام السابق من خلال موضوعة الحروب ،٣٣ فكأن بالروائيات ميلا شديدا لتوثيق كل ما جرى في العراق خلال حكم النظام السابق .**

## المقدمة

إن الحديث عن ارتباط الحرب بالرواية العراقية ليس موضوعا جديدا ؛إذ لطالما ارتبطت الرواية العراقية بموضوعة الحرب لاسيما ( الحرب العراقية – الإيرانية ) التي تركت أثراً بالغاً على طبيعة الرواية العراقية حتى صارت الموضوع الرئيس قياساً بالموضوعات والمضامين الأخرى،كما إنها تفوقت على فنون الأدب الأخرى كالشعر والقصة القصيرة والمسرحية[١]أما الجديد في هذه الدراسة المتواضعة إنها طرحت موضوعة الحرب من وجهة نظر نسوية ، وليس هذا فحسب بل من وجهة نظر النساء أنفسهن – إذ بات معروفا أن النسوية هي وجهة نظر يمكن أن يتبناها الرجال والنساء وان كانت الغلبة فيها للنساء لأسباب مبررة ومعروفة، كما(( إن الرواية لا تكون نسوية لمجرد بأن كاتبتها امرأة بل لابد للرواية التي تحمل صفة النسوية أن تكون معنية بصورة جزئية أو كلية بطرح قضية المرأة بالمعنى الجنسوي أو الجندري وليس كتصنيف طبيعي لوجود شخصيات من الرجال والنساء داخل النص الروائي ))-[٢]

وهذا بالفعل ما وجدناه في الروايات النسوية في هذه المرحلة ،إذ طُرح موضوع الحرب بشكل مغاير تماما عن الطرق التقليدية التي طُرح بها من الكتاب الذكور على مدى سنوات طويلة ،إذ انصب اهتمام هؤلاء الكتاب على تصوير مشاهد الصراع والتضحية والبطولة من اجل الوطن والمبدأ[٣]فضلا عن التطبيل لهذه الحرب،لان جميع هذه الروايات كتبت خلال مدة زمنية معينة وهي فترة حكم النظام السابق (١٩٦٨-٢٠٠٣)، فكانت تعبوية دعائية أيدلوجية أو غلب عليها ذلك ونسيت الاشتراطات الفنية والإبداعية ،- ولكن هذا لا يلغي وجود روايات أخرى قد حققت الشرط الإبداعي والفني فضلا عن المضمون الإنساني من خلال معالجة هذه الموضوعة المهمة – وهذا على العكس مما جاء في الرواية النسوية . إذ أن هناك سمة نسوية مشتركة بين الروائيات اللواتي كتبن في رواية الحرب وهي ابتعادهن عن ساحات الحرب والجبهات والقتال والمعارك،والسبب في ذلك بعد الكاتبة لكونها امرأة عن ميادين الحرب وساحاتها لذلك أكتفين بتجسيد الأثر النفسي

والاجتماعي والاقتصادي لهذه الحروب وما تركته من آثار سلبية في الشخصية العراقية عامة[٤]- لذلك نلاحظ أن الكاتبة هدية حسين على سبيل المثال حينما أرادت تصوير ساحة المعركة وما يحدث فيها في روايتها ( ما بعد الحب) لجأت إلى يوميات جندي عراقي عائد من الهزيمة بعد تحرير الكويت للشاعر علي عبد الأمير[٥] ونقلت عنه هذه اليوميات أو جزءاً منها كما هي.-وفي شخصية المرأة على وجه الخصوص فقد ركزت الرواية النسوية العراقية في الخارج في هذه المرحلة على اثر الحروب القاسية والمتواصلة في نفسية النساء وما جلبت لهن من مصائب كنساء . فقد عانت المرأة العراقية من مرارة الفقدان التي تسببها الحروب بوصفه -أي الفقدان- نتيجة طبيعية لها - فقدان الأب والابن والزوج والأخ والحبيب - فكان لزاما عليها تحمل المسؤولية بدل الرجل الذي أصبح غيابه عن المنزل أمراً طبيعياً لطول الحروب .

كما أن الأمر قد اختلف بعد سقوط بغداد ، فنلاحظ أن الروايات النسوية التي كتبت خارج البلاد بعد عام ٢٠٠٣ - التي تناولت موضوعة الحرب — اختلفت تماما عن الروايات التي تناولت الموضوع نفسه قبل هذا التاريخ ، لان الروائيات في هذه المرحلة قد تمتعن بحرية كبيرة في التعبير فلم يعدن بحاجة إلى استخدام أساليب الترميز والتلميح، فنراهن ينتقدن النظام السابق انتقادا لاذعا وصريحا لكونه السبب المباشر لكل ما مر به العراق من كوارث وعلى رأسها الحروب ،فكشفن عن زيف تلك الشعارات وتحدثن عن الحرب بوصفها الخراب والدمار الذي عم البلاد.

وسنبدأ بمعالجة روايات الكاتبة هدية حسين لأنها من ابرز الكاتبات اللاتي تناولن موضوعة الحرب وأثرها على النساء وأكثرهن انتقاداً للحقبة السابقة في رواياتها .

لقد اهتمت الكاتبة بمعاناة النساء بشكل خاص وركزت على المرأة بشكل ملحوظ حتى أن إبطال روايتها من النساء - باستثناء رواية ( مطر الله ) -

ففي روايتها ( في الطريق إليهم ) تروي لنا (أمل )- وهي بطلة الرواية التي فارقت الحياة وهي لا تزال طفلة لتعود بعد أربعين عاماً لتخبرنا عن قصة عائلتها وقصص من معها من الأطفال في المقبرة - معاناة أختها (صفية) وهي تبحث عن زوجها (مصطفى) (( تلمست طريقها لتبحث عن إجابة شافية لفقدان زوجها (مصطفى) الذي اختفى أثره أثناء المعارك بعد أن زرع في رحمها جنيناً ولد في خضم الأيام الصعبة . وجاء الوليد بنتاً أطلقت عليه اسم أمل إحياء لذكراي ))[٦] بسبب الحرب اختفى زوج (صفية) في زمن (( لم يعد فقدان الرجال أمراً غريباً في هذا البلد ،قد يؤخذون من الجوامع أو الجامعات أو الدوائر .. وأحيانا ينتزعون من أسرتهم، ومحظوظ من عاد بعد رحلة العذاب في الغرف السفلية من مديرية الأمن العامة أو احد السجون التي لا يعرف بها سوى القائمين عليها ، محظوظ حتى لو خرج بروح مخربة))[٧] وهكذا تستمر الكاتبة في الكشف عن الممارسات السلبية التي كان يقترفها النظام السابق بحق العراقيين فتروي لنا الكاتبة على لسان بطلتها (أمل) اختفاء (ربيع) و(نور) شقيقي (فراس) - صديق أمل في المقبرة — الأول اختفى بسبب تعاطفه مع السجناء السياسيين الذين يعملون تحت إشرافه حين انتدب وهو المهندس المعماري للعمل في قصر الرئاسة الجديد. أما الثاني فقد اختفى لمحاولته إيصال الأمر (اختفاء أخيه)إلى منظمة حقوق الإنسان بعد إن اتهم باختلاس مبالغ كبيرة من ودائع المواطنين ليحكم عليه بعشر سنوات ويودع في سجن أبي غريب ، وما أن خرج من السجن حتى مات بعد اقل من شهر بسبب جرعات السموم التي كانت تدس في طعامه بنسب قليلة.[٨] كما تخبرنا (أمل) بأن ((إيقاع الحياة قد تغير فصار أسرع خطواً وأكثر وطأة على الناس ، أما الحاكم المبجل فأصبح أكثر عجرفة وفظاظة .. كلما ازدادت مصائب الناس قويت أرجل كرسيه ))[٩] أما (صفية) فلم تيأس من عودة (مصطفى) وبقيت تكافح وتشقى لتربي ابنتها الوحيدة [١٠] التي ما تزال تمنّيها بعودة والدها الذي لم تره سوى في الصورة المعلقة على الحائط .فتخبرنا (أمل) الراوية (( صار عمر ( أمل ) الصغيرة عشر سنوات أرضية أو يربو على ذلك بقليل ، تنظر إلى الصورة المعلقة في غرفة الضيوف ، تعرف أنها صورة أبيها الذي لم تره،

تنتظر اللقاء الذي سيجمعها ذات يوم ، وحين يستبدُّ بها الشوق تلح على( صفية ) :

- أين بابا
- أنه في السجن .. سيخرج يوماً

وكلما طال الوقت عاد السؤال ثانية :

- متى سيخرج أبي من السجن ؟
- عندما يأمر ( الرئيس ) .

وبالبراءة ذاتها تسأل :

- متى يأمر ( الرئيس ) ؟

فيأتي الجواب مبهما على سنواتها العشر :

- عندما يعثر على ضميره الذي ضاع منه .

وقبل أن تهم أمل للاستفسار تطلب منها أمها الكف عن الأسئلة ، والاهتمام بدراستها لكي تسعد أباها عندما يعود .. تنكب أمل على كتبها ودفاترها .. أنها تقرأ من أجله، من اجل هاتين العينين اللتين تشعان بالبهجة داخل إطار الصورة ، ترسمه على أوراق ملونة محاولة نقل ملامحه لكنها تعجز فتمزق الأوراق ، وتهزل صفية كل يوم ، أمل واه تعيش لأجله وتعرف انه كاذب )) [١١] . وهكذا تعيش (أمل) محرومة من حنان الأب ، وهذا ما سيفسر لنا في ما بعد سبب زواجها من (جبار منصور) الذي كان بعمر أبيها . كما تبين لنا الكاتبة آثار الحرب والحصار على النساء بشكل خاص فتخبرنا (أمل) الراوية، إن (( الحياة تبدلت في حيّنا وأحياء أخرى كثيرة .. صارت أكثر قتامة واقل راحة ، سلبت المباهج بالتقسيط دون أن ينتبه الناس لذلك .. حتى النساء اللواتي كن يضعن الكحل ويرتدين الثياب ذات الألوان المفعمة بالحيوية ، والموديلات التي تبرز ثنيات الجسم ما عادت تثير اهتماماتهن ، تبدلت الأذواق وصرن يرتدين الملابس ذات الألوان الداكنة والترابية ، تخلين عن الإكسسوارات وطلاء الأظافر(كذا) وأحمر الشفاه ، بعضهن لذن بالحجاب ليس تقرباً إلى الله وإنما تخفيف من عبء مصاريف لا ضرورة لها في ظل الحصار )) [١٢]

كما تخبرنا (أمل) برعب الحرب وأثرها حتى على الأموات (( توقفت الحرب ، توقفت بعد سنوات ، أخذت ما أخذت ولم تعط غير كمية كبيرة من قيح وخدوش شوهت وجه البلد ، هدأت أرواحنا فترة طويلة حتى انفلتت من سكينتها عندما بدأت الأرض تهتز مع كل قذيفة تسقط عليها .. رعب اكبر، دمار هائل أكثر من ذي قبل كأن أبواب الجحيم انفتحت وقذفت بكل ما تحتويه مداراتها صاح صوت هادر مزق أحشاء السكون :- إنها الحرب ثانيةً هذه المرة تزعزعت عظامنا حد الأنسحاق)) [١٣] . أما روايتها (نساء العتبات) فبالرغم من صدورها بعد ست سنوات من صدور روايتها (في الطريق إليهم ) والتي صدر بعدها للكاتبة رواية ( مطر الله) إلا أن هذه الرواية – ( نساء العتبات ) – هي بمثابة الجزء الثاني لرواية ( في الطريق إليهم ) وذلك لوحدة الموضوع ووجود نفس الشخصيات في كلتا الروايتين لذلك فهما رواية واحدة من جزأين وليستا روايتين ففي (نساء العتبات) تستكمل الكاتبة حياة (أمل) بنت (صفية) بعد زواجها من (جبار منصور)، ونرى إن عنوان الرواية جاء ملائما جدا لمضمونها لان الشخصيات النسائية هي التي تمثل الروائية وليس فيها شخصيات من الرجال غير (جبار منصور) الذي فقد آثره خلال المعارك. إذ تدور أحداث الرواية حول الحرب الأخيرة (حرب الخليج الثالثة ) التي كان من أهم نتائجها زوال النظام السابق،فنرى بطلة الرواية بالرغم من الفرار- من العراق إلى عمّان بأمر من زوجها الضابط تتابع ما يجري في العراق من أخبار الحرب التي لم تفارقها من خلال شاشة التلفزيون التي واظبت على الجلوس أمامها وتسجيل كل ما تنطق به وكالات الأنباء عن أخبار العراق وما يجري فيه مع خادمتها (جمار) التي لا تكف عن انتقادها للرئيس السابق وتوجيه اللوم إليه وهي لا تزال تسترجع ذكرياتها عن الحروب السابقة التي مرت على العراقيين وغيرت حالهم وإصابتهم بالفقر والحرمان وترى( جمار) أن (( ( هذا الرجل) أشعل الحروب وخلف المآسي وجعل في كل بيت مأتم، وضحاياه لا تعد و لا تحصى (...) ثم يقولون بسبب أسلحة دمار .. (هو ) دّمرنا بأسلحة وبدون أسلحة )) [١٤] .

أما (أمل) فبعد أن (( تنطفئ شاشة التلفزيون على آخر الضحايا))[١٥] تضيء شاشة رأسها فتكشف أكثر من ضحية

على عتبة دار والدتها (صفية) التي كانت تضم مجموعة من النساء المنكوبات ابتداء من (صفية) والدتها و(أم عدنان) و(صبرية) و(فطومة) وانتهاء ببقية جوقة الأحزان . إذ تتناول الكاتبة في هذه الرواية حياة مجموعة من النساء اللاتي فقدن أزواجهن أو أبناءهن بسبب الحروب فجمعتهن وحدتهن للجلوس على العتبات وسرد حكاياتهن (( التي تقطر حزناً وتذوب حسرة على الرجال الغائبين))[١٦] ف كل ((واحدة منهن كانت تطارد وهماً على هيأة رجل ، وكلهن يتسابقن لسرد الأحزان ولمعرفة أيهن أكثر حزناً من الأخرى ، مساحة الفرح ضيقة في حياتهن ، إلى الحد الذي أصبحت مثل خرم الإبرة ، بينما تتسع يوماً بعد يوم دائرة أحزانهن))[١٧] وتستذكر (أمل) ((تأتي النساء تباعاً تخرج إحداهن من البيت حاملة صينية الشاي أو صحن حب البطيخ ، يكررن الكلام نفسه أو يضفن عليه أو يتذكرن حكايات كانت غاطسة تحت جلودهن))[١٨] كما تبدأ (أمل) باسترجاع معاناة والدتها التي ما انفكت تبحث عن زوجها الأستاذ الجامعي الذي اختفى إثره خلال (الحرب العراقية – الإيرانية) فتتساءل (أمل) ما الذي ((جعل أمي تتمسك بحلم باهت وتنثر أحزانها على الطرقات والمسالك الوعرة ، بين المنظمات الحزبية ومراكز الشرطة وقواطع الجيش الشعبي والمستشفيات ومنظمة الهلال الأحمر ثم على عتبات البيوت الخاوية ؟ (... ) لماذا صنعت من حزنها قلادات وطوقت جيد شبابها فذوى ؟ هل كان أبي يستحق منها كل هذا العذاب ؟ ))[١٩] ثم تروي لنا (أمل) معاناة باقي النساء اللاتي يجلسن مع والدتها على العتبات ، وفي كل ليلة تتمدد (أمل) مع (جمار) بعد أن زالت الفوارق الاجتماعية بينهما (( تمددنا على السرير انفتحت كوة في رأسي ))[20] لتروي لها حكاية عن إحدى نساء العتبات ، فتروي لـ (جمار) حكاية(أم عدنان) (( وما هي حكاية أم عدنان ؟

أم عدنان امرأة على أعتاب العقد السادس لم تكن داخل البيت حينما سقط صاروخ على منزلها فقتل زوجها ، وكانت الحرب في سنتها الأولى مع ايران ، (...) أما عدنان فقد درس الكهرباء في ثانوية الصناعة وصار المعيل فتركت أم عدنان البيع والشراء ، وبعد سنوات قتل في حرب الكويت فعاشت براتبه التقاعدي وصارت دارها ملاذاً للنساء الموشومات بالقهر ، اللواتي تجاوزتهن الحياة وتخمر الحزن في جلودهن ))[٢١] وهكذا افتقدت (أم عدنان) زوجها وابنها بسبب الحروب. أما حكاية (فطومة) فهي لا تختلف كثيراً عن قصة (أم عدنان) فهي الأخرى فقدت كلا ولديها للسبب نفسه (( – كان لي ولدان، ربيتهما بدموع العين بعد وفاة زوجي ، قتل الأول في معارك شرق البصرة في السنة الأولى للحرب مع ايران فكرموني وأطلقوا عليّ لقب ( أم الشهيد ) وفي السنة الأخيرة من تلك الحروب رفض ولدي الثاني الانضمام للجيش الشعبي ، كان قد أنهى قبل شهرين خدمته العسكرية وأراد إكمال دراسته))[٢٢] فاعتقل في البيت بتهمة التخاذل واعدم بعد شهر وطلبوا من (فطومة) الحضور لتسلم الجثة ليخبرها الضابط (( – الآن أنت أم الخائن ، هيا ، لا أريد هذه الزبالة))[٢٣] لتندفع إليه (فطومة) وتغرز أظفارها في وجهه (( أنت الزبالة وابن الزبالة ))[٢٤] وبعدها غابت عن الوعي وبعد أن فاقت وجدت نفسها في احد المستشفيات (( أمروني بالخروج ، لا اعلم أين أخذوا جثة ولدي ، ولم ابق في بيتي سوى يوم واحد، في اليوم التالي هوى البيت أمام عيني خلال دقائق أخذت الجرافة معها كل شيء حتى الذكريات ))[٢٥]. وهكذا تستعرض لنا الكاتبة ممارسات النظام السابق ومقدار الآلام والمعانات التي سببها للنساء، فتتساءل (أم عدنان): (( – من أين جاءت كل هذه المصائب وسقطت على رؤوسنا ترد (فطومة) : كلنا نعرف من أين جاءت لكننا نريد الحفاظ على ألسنتنا من البتر))[٢٦] . وترى الكاتبة هدية حسين أن كره الشعب العراقي للنظام السابق هو نتيجة حتمية لكل الجرائم التي اقترفها بحق العراقيين. وتعلل لنا الكاتبة سبب تضارب مشاعر (أمل) تجاه الرئيس السابق بالرغم من كونه السبب المباشر في فقدان والدها ومعاناة والدتها من خلال حديثها مع خادمتها (جمار) ((ست أمل .. انأ حتى الآن لا اعرف .. هل تحبين الرئيس أم تكرهينه ؟

– والله يا جمار لا ادري .. حقاً لا أدري . ( ... )

لم اسأل نفسي هكذا سؤال ، برغم أن راسي ما يزال يخزن كره أمي وحقدها على النظام برمته .. كل واحد يا جمار له سبب في الحب والكره )) [٢٧] . فأنا لا أزال أتذكر العبارة التي كانت ترددها أمي من وقت لآخر (( عفريت الحروب يتلبس الرئيس ، وسيضيع آلاف الآباء مثلما ضاع أبوك))[٢٨] وتستغرب (جمار) من موقف (أمل) وتقول لها :

(( – هذا يحتم عليك أن تأخذي جانب أمك ، أم أن زواجك من السيد جبار جعلك متأرجحة ؟

– ربما أنا لا أعرف ظروف فقدان أبي لأنه حين اختفى كنت في بطنه ( ... ) أوه يا ست أمل ، أنت صغيرة ، لو عشت حياتنا نحن الفقراء لتوصلت إلى قرار نهائي بأنه سبب جميع مصائبنا )) [٢٩] . وهكذا تعطينا الكاتبة سر تضارب مشاعر (أمل) تجاه الرئيس السابق وهو صغر سنها، فهي لم تع ما عاناه الشعب العراقي من أذى وظلم وجوع وتضييق للحريات ،ففي حرب ايران كانت لا تزال طفلة صغيرة [٣٠] وعندما كبرت سرعان ما اقترنت بـ (جبار منصور) الضابط في الحرس الجمهوري الذي حقق لها كل ما حلمت به وما لم تحلم به فضلاً عن معاملته الحسنة لها فلم تشعر يوماً انه من الممكن أن يكون جلاداً كما وصفته والدتها (صفية) في يوم من الأيام. (( اسمعي ! العسكريون أما جلادون أما ضحايا .. ولا أظن هذا الذي يحمل النجوم الزائفة على كتفيه يمكن أن يكون ضحية )) [٣١] أما (جمار) فلكونها امرأة كبيرة في السن وقد خبرت الحياة مثل (صفية) وشهدت كل الأحداث الماضية التي شهدها العراق في ظل حكم الرئيس السابق فكان لابد لها أن تكره الرئيس، أما (أمل) فنراها تدافع عن نفسها أمام الكاتبة التي عابت على إصرارها الزواج من رجل كبير في السن مما جعل والدتها (صفية) تموت كمداً وحسرةً على ابنتها . (( ربما كنت ابحث في جبار ، دون وعي عن صورة أبي المفقود بعد أن عجزت عن التواصل مع شبان في مثل سني .. ولكن الصحيح أيضا أنني مللت حكاية الأب الذي لم أره إلا في الصورة المعلقة على جدران الصالة ، وسئمت من ثرثرات أمي وصاحبتها عن فقدان الرجال في حياتهن .. وهذا ما لم تتعمق فيه الكاتبة بل مرت عليه مروراً عابراً )) [٣٢] . أما في روايتها ( ما بعد الحب ) فنرى الكاتبة تحدثنا عن الحرب في بعدها الإنساني والاجتماعي وما تركته من آثار نفسية مدمرة في الشخصية العراقية، فهاهي الحرب قد امتصت عصارة الحب من قلب (يوسف) وسرقت من عمره الكثير من السنوات وحوّلته إلى شخص غريب الأطوار يثور لأتفه الأسباب أو دونما سبب، فنراه يخاطب والدته وقد قلبت الحرب كل مفاهيمه وقيمه في الحياة

(( – إنها الحرب يا أمي .. لم اعد كما كنت .

لماذا لا تتزوج يا ولدي ، أنت وهدى متحابان ؟

– هل تريدين أن أنجب حطباً للحروب القادمة ؟ )) [٣٣].

وهكذا أصبح الخوف من الحرب هاجساً في نفوس العراقيين وكأنها مرض مزمن علق بهذا الشعب ويستحيل الشفاء منه . فنرى (عزيزة) التي كانت تعمل مع (هدى) و(نادية) في مصنع الأمل تتمنى الزواج من عربي ليخلصها (( من عذابات الحياة الشاقة ومن هذا البلد اللعين ، بلد الحروب التي لا تنهي )) [٣٤] .وتخبرنا (هدى) عن مقدار الألم الذي يحمله (يوسف) بداخله حين يحدثها عن الحرب (( كانت سحنته وهو يحكي عن الحرب تتغير وعيناه تتقدان احمراراً ، أرجوك – قلت له – دعنا من الحكايات التي أصبحت مجرد ذكرى ..وشيء من الماضي لكنه استمر وروحه تقطر ألماً : –أحلى سنوات العمر ضاعت في الحروب عركناها بالخوف وبالشجاعة معاً . خفنا عند اشتداد المعارك فحافظنا على بقية العمر ، وامتلأنا بالشجاعة لأننا مجبرون على ذلك .. ولكنها شجاعة خالية من الشهامة .. أن تقتل إنساناً فأنت مجرد من إنسانيتك .. إنساناً مثلك يتأرجح على خيط الحياة والموت ، ويصوب إليك السلاح حفاظاً على حياته كما تفعل أنت .. أنت وهو عندما تجيدان التصويب فأنكما تديمان عمر الانظمة التي تقود أبناء الوطن إلى المحرقة )) [٣٥] ولم تكن حال (موسى) حبيب (نادية) بأفضل من حال (يوسف) فهو أيضاً شارك في هذه الحروب حتى انه كتب معاناته في تلك الفترة وأطلق عليها (يوميات جندي عائد من الهزيمة ) وتصف لنا (هدى) حاله وهو يحدثها عن تلك الفترة ((كان شاحبا وعميق الحزن ، راح يفرك كفيه كما لو انه يعاني من تشنج وبدت نظراته قاسية

فشعرت بأنني انكأ جراحه .. ثم استل سيجارة وراح يدخن بعصبية ))[٣٦] . وتحدث (هدى) نفسها (( مئة ساعة من قلق ورعب تحت اعنف قصف لثلاثين دولة انه الجحيم والعراقيون الحطب .. قصف مركز .. قصف عارم .. سؤال لا تجد له جواباً .. لماذا تعنت الرئيس إذا كان يعرف انه سينسحب من الكويت ؟ سؤال مجته الأفواه وبصقته قبل قيامة الحرب)) [٣٧].

وكان من اهمم نتائج هذه الحرب الدمار الاقتصادي الذي عم البلاد بسبب الحصار الذي فرضته الدول الكبرى على العراق بعد (حرب الخليج الثانية) (( من قال إن السلطة تريد رفع الحصار ؟ إنها تبتكر المزيد من الأساليب لتبقى المعاناة على هذا الشعب الذي رفض النظام في اكبر وأوسع انتفاضة بعد تحرير الكويت .. ولذلك ما يزال الناس في المحافظات الجنوبية يشربون ماء ملوثاً حتى الآن .. انه عقاب جماعي .. حصار من الداخل يفوق حصار الدول الكبرى )) [٣٨] . هذا ما تخبرنا به (هدى) الراوية وتستمر الكاتبة بانتقاد الحقبة السابقة خلال فصول الرواية، فتذكر لنا عن طريق (هدى) الرواية الكيفية التي قتل بها عم (نادية) وشقيقها فقتل الأول في الأيام الأولى من الانتفاضة أمام بيت (نادية)لأنه (( حاول سحب جثة مرمية علة عتبة الدار ، واعتبر في عداد الساخطين على النظام )) [٣٩] أما الثاني فقد اعدم لان احدهم دسَ في بضاعته عدد من كروسات السجائر الأجنبية الممنوعة تداولها [٤٠]. أما روايتها ( مطر الله ) فبالرغم من كون أحداثها تبدأ بداية الستينيات تقريباً وتنتهي بعد سقوط بغداد وما تلاها من أحداث لكن الكاتبة تسلط الضوء على ما تركته الحرب الأخيرة(حرب الخليج الثالثة) من دمار وخراب فاق كل التصورات إذ يستيقظ السيد (مهران) بطل روايتها من غيبوبته التي دامت لسنوات طويلة ليرى القتل العشوائي وتهجير العوائل والخراب والدمار، ولا تنسى الكاتبة أن تقارن بين ما يجري اليوم في العراق من أحداث بما جرى في الماضي من خلال الحديث الذي دار بين مجموعة من الرجال في احد مقاهي بغداد وكان السيد (مهران) جالساً هناك لتلتقط أذناه الكلام من هنا وهناك (( سمعت الكثير مما يدمي القلب .. احترقت مكتبات وسرقت آثار ، نزلت مليشيات إلى الشوارع ، وهُجرت عوائل ، اختفى الأبناء واختطف الكثير من الرجال والنساء في وضح النهار .. قال رجل كبير في السن : المشكلة يا جماعة إننا كنا في الماضي نعرف عدواً واحدا يشعل الحروب ويأخذنا حطباً لها ، ويستل الأبناء ويخيفهم في سراديب الأمن، أو يدفنهم في مقابر جماعية في الصحراء ، أما الآن يا جماعة فلا ندري من أين انبثق كل هؤلاء الأعداء ، ولماذا يقتلون الأبرياء هل يعقل أن يقتل الكناسون وصباغو الأحذية والباعة المتجولون وبائعو الشاي والحلاقون وعمال البناء وأصحاب البسطات وعلماء البلد وطلاب الجامعات والرياضيون والفنانون ؟بأي عرف أودين يحدث هذا )) [٤١] ونستنتج من هذا الكلام أن الكاتبة تريد القول إن كان عراق اليوم ليس بأفضل من عراق الأمس فهو ليس أسوأ منه، ففي السابق كانت كل الجرائم تقترف باسم النظام السابق فكان عدواً واحداً معروفا للجميع أما اليوم فمجموعة من الأعداء المجهولين . أما في رواية (غايب ) لبتول الخضيري فتدور أحداثها خلال (حرب الخليج الثانية) وما تلاها من أحداث، إذ تتناول الرواية معانات الشعب العراقي في ظل الحصار الذي فرضته الدول الكبرى على العراق بعد هذه الحرب، اذ نستمع إلى خالة (دلال) وهي تقول : ((– سنة ١٩٨٠ اندلعت حرب ثماني سنوات مع جارتنا ايران . لم نكد نحتفل بوقف إطلاق النار حتى قررت الحكومة غزو الكويت سنة ١٩٩٠ فبدأت حرب الخليج . يا الهي، الأجانب يقصفونا ثم يُتوّجون عملياتهم بحصار غير معلومة نهايته ! أيعقل ما يحدث لنا يا جماعة ؟! ))[٤٢] وتستمر الرواية في المقارنة بين الزمن الماضي، زمن الخير – كما يسميه العراقيون – وزمن الحصار الذي يعيشونه والموسوم بتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . فتنتقد الكاتبة هذه الأوضاع عن لسان بطلة روايتها (دلال) فتخبرنا بأنها خرجت من البيت برفقة زوج خالتها وقد مرا ((بمحل كان لبيع الحلويات . السكر مفقود ، لذا تحول إلى محل لتنظيف الملابس بالغسيل الجاف .يسمونه (درب التجار ). في هذا الشارع اختفى بليلة واحدة ،وبشكل عجيب عدد من تجار السكر والطحين .اتهموا بتخريب اقتصاد البلد ،لاحتكارهم المواد الغذائية الأساسية ،وتلاعبهم

بأسعارها في السوق المحلية . بعد إعدامهم ، صدر عفو عام متأخر بحقهم ! ))[٤٣]. أما في روايتي ( سواقي القلوب ) و(الحفيدة الأميركية ) لانعام كجه جي فان الكاتبة تتناول موضوع الحرب في كلتا الروايتين ، فالرواية الأولى تدور أحداثها في لندن خلال الحربين (العراقية – الإيرانية) ، و(حرب الخليج الثانية ) أما الرواية الثانية ( الحفيدة الأميركية ) فان أحداثها تدور خلال الحرب الأخيرة (حرب الخليج الثالثة) والتي كان من أهم نتائجها سقوط بغداد وزوال النظام ، وكلتا الروايتين لا تخلوان من انتقاد النظام السابق، فالرواية الأولى ( سواقي القلوب ) تتناول حياة خمسة عراقيين يعيشون في المنفى (لندن) خلال الثمانينيات والتسعينيات أي خلال الحربين (العراقية – الإيرانية) و(حرب الخليج الثانية ) ،وعادةً ما كان هؤلاء يتحلّقون حول مائدة (كاشانية خاتون) برفقة النبيذ والهموم لمتابعة أخبار الحروب خلال المذياع فيخبرنا الراوي – بطل الرواية – أن (( مع تمدد سنوات الحرب واستمرار طاحونة الشهداء ، تملكنا اليقين بأن الوطن يضمحل ويتسرب من بين الأصابع كقبضة من دم ، وانَّ المسافة بيننا وبينه صارت برزخاً يتعسر عبوره )) [٤٤] وشاءت الأقدار أن يستشهد شقيق (زمزم) في جبهة الفاو فيتلقى (زمزم) مكالمة هاتفية من أبيه يدعوه للعودة للبلد بسرعة لضرورة وجوده وسط الأسرة المفجوعة ، فيخبرنا الراوي (( كانت تلك أولى الزيارات الكثيرة التي صار فيها زمزم رسولنا إلى وطننا وسفيرنا إلى أهلينا. نلقنه الرسائل الشفهية ، وهي الأهم ، ونكتب إلى جانبها مكاتيب ورقية على سبيل التمويه ، نختمها بعبارات التمجيد للقائد والدعوات له بالنصر في حربه ضد الفرس المجوس .. محفوظات يعرف الأهل انّها ليست لهم، للرقيب الذي يفتش الجيوب ، ولو تنسى له لفتش القلوب )) [٤٥] فيدعو الراوي للقائد بالنصر في حربه ضد المجوس بالرغم من قناعته (( بأنها الحرب الخطأ في المكان الخطأ)) [٤٦] . ففي هذه الرواية تبين لنا الكاتبة انعام كجه جي الخوف والرعب اللذين يسببهما النظام السابق في نفوس العراقيين ليس فقط للذين هم داخل العراق بل حتى للذين هم خارجه فلم يتخلصوا من ظلم النظام وبطشه، فيخبرنا الراوي عن مطاردات أزلام النظام السابق لصديقه البعثي (زمزم) الخارج على حزبه ومن ثم (سارة) ومحاولتهم لكسبها؛ لتتجسس على عراقي لندن فهم يراقبون كل عراقي في الخارج حتى بات العراقي يخاف أن يقترب من مبنى السفارة العراقية في لندن ، بل وحتى الشوارع القريبة منها فهم يتجسسون على أي شيء وكل شيء . كما سيخبرنا الراوي حول تضارب اراء عراقيي لندن عند دخول العراق الكويت مصرحاً برأيه، ((بدأت طبول حرب جديدة تقرع فوق رؤوس العراقيين وهم لم يمسحوا بعد وعثاء حرب مضت . لكنها السياسية الرعناء التي تهزأ بالمصائر طالما أن أولاد الخايبة هم من يدفع الثمن))[٤٧]. كما يخبرنا رأي صديقه (زمزم) عن هذه الحرب الذي يلقبه بـ (حنقباز السماوة ) (( وركبت حنقباز السماوة حماسه جعلته لا يستقر على رأي . هو مع الحرب وضد الحرب، مع الأمريكان وضد الكويتيين ، مع العراق وضد صدام .. ولم تكن حالتي بأفضل منه ، غير أن بوصلتي لم تتذبذب كثيراً ولم تخني في لحظات الشك )) [٤٨] كما أن الخوف من الحرب بدأ يطال حتى العراقيين اللذين في الخارج، فيخبرنا الراوي (( بدأنا نسمع أخباراً عن طلبة عراقيين يفصلون من الجامعات الفرنسية ، وإشاعات عن معسكرات تعد لعزل أبناء جاليتنا ، على غرار تلك التي أقامها الأمريكان لليابانيين أثناء الحرب العالمية ، وتقرأ عن سفراء يهربون من سفاراتهم )) [٤٩] ولكن الراوي يرى أن كل ذلك لا يعني شيئاً ذا بال لان((المحنة الحقيقية هي هناك ، حيث ستسقط القنابل على شعب اعزل وعلى جنود منهكين لم يشبعوا من أحضان نسائهم ولأمن خدود أطفالهم)) [٥٠] فها هي الحرب لا تجلب سوى الخراب والدمار ، أينما حلت وحيثما ذهبت .

أما في روايتها الثانية ( الحفيدة الأميركية ) فنرى أن الكاتبة قد تناولت الحرب الأخيرة ( حرب الخليج الثالثة ) ولكن بطريقة مختلفة فهي لم تجعلها هدفاً لانتقاد النظام السابق كما فعلت في ( سواقي القلوب ) ولكنها ركزت على ما أفرزته الحرب الأخيرة (حرب الخليج الثالثة ) من تناقضات كأنها تريد القول إن انتقادها للنظام السابق في رواية (سواقي القلوب) أو انتقاد شخصياتها

لا يعني قبول ما حصل في العراق بعد سقوط بغداد ودخول القوات الأميركية واحتلالها العراق . فالعراقيون يرفضون الاحتلال كرفضهم للنظام السابق وهذا ما أوضحته الكاتبة من خلال شخصيات روايتها (مهيمن) و(حيدر) اللذين ينتميان لجيش المهدي ووالدتهما (طاووس) والجدة (رحمة) التي تمثل العراق بكل عبقه وأصالته والتي ترفض الدخول إلى المعسكر الأميركي عند زيارتها لحفيدتها ( زينة ) ، وتمتنع عن الأكل أو الشرب فيه. ونرى المجندة الأميركية ( زينة بهنام ) تعترف بوجود المقاومة فهي تخبرنا عن طبيعة الأوضاع بعد السقوط (( جيء بلواء الذيب للسيطرة على الوضع كان هذا اللواء من تشكيلات الجيش العراقي الجديد . الفِرق التي شكلناها للعمل مع دورياتنا تلاحق العصاة من شارع إلى شارع على أمل إعادة النظام إلى المدينة . نسميهم العصاة أو المتمردين ، الإرهابيين المجرمين ، عناصر الشغب كل الصفات صالحة لكي لا نقول المقاوم))[٥١] . كما تخبرنا (زينة) عن الانتحاري الذي دخل قبل العيد إلى صالة الطعام في المعسكر الأميركي وهو يلف نفسه بحزام ناسف ففجر نفسه وسط الجنود الذين يتناولون الطعام، وإعلان إحدى الجماعات الدينية المحليّة مسؤوليتها عن التفجير وهلّلت له باعتباره من أعمال المقاومة [٥٢] . كما تخبرنا عن حال العراق بعد الحرب وما شاهدته من خراب عند وصولها إلى الموصل (( رأيت عند وصولي إلى الموصل ، فلتاناً عجيباً . مراكز الشرطة مقفلة ومضروبة ، وعشرات الملثمين يسرحون في الشوارع . أهذه هي المدينة التي يرف قلبي عند ذكر اسمها )) [٥٣] وهكذا تستمر (زينة) في سرد ما تشاهده في العراق من أحداث وكل ما يجري أيضا داخل المعسكرات الأميركية ، ولاشك في أن عمل الكاتبة في الصحافة قد مكنها من ضخ عدد كبير من المعلومات والأرقام والبيانات الواقعية التسجيلية في روايتها، فهي تنقل لنا أدق التفاصيل عن حياة الجنود الأميركيين داخل المنطقة الخضراء في ما يخص رواتبهم ومأكلهم وملبسهم وأحاديثهم ووجهة نظرهم عن هذه الحرب وحتى إحصائيات دقيقة عن عدد القتلى والمفقودين وكل ما يدور داخل معسكراتهم فكأن الرواية فلماً وثائقياً عن العراق والجيش الأميركي بعد سقوط بغداد أخرجته الكاتبة بأسلوب فني رائع.

أما روايتا ( الحدود البرية ) و ( نبوءة فرعون ) لميسلون هادي فقد تطرقتا لموضوع الحروب وما تتركه من آثار ولكن لم تكن هذه الحروب الثيمة الرئيسة للرواية ففي ( الحدود البرية ) نرى (بيان) تخبرنا عن مخاوف الناس وتساؤلاتهم حول الحرب الأخيرة (حرب الخليج الثالثة ) (( القوات البرية والبحرية كانت تتواتر من أمريكا في خط مباشر إلى الكويت ، وإذاعات العالم بدت لا شغل لها غير أخبار العراق وتوقعات ما سيحدث في العراق ( ... )كانت نوبة من نوبات الحمى في تلك الأيام هي الاستماع إلى تلك الإذاعات ، كما كانت لازمة افتتاح أي حديث بين اثنين هي :

– ها ؟ ماذا تتوقع ؟ هل ستضرب أمريكا؟ (... )

– إذا ضربت أمريكا ماذا سيحدث ؟ )) [٥٤] فتخبرنا (بيان) أن لا احد كان يتخيل ماذا سيحدث فتضاربت الآراء (( أمريكا إن ضربت العراق ستمحوه بقنبلة ذرية واحدة .. وأمريكا ان ضربت العراق ستعيده ألف سنة إلى الوراء .. وأمريكا ان ضربت العراق ستحيله تراباً ..... ))[٥٥]

أما في رواية ( نبوءة فرعون ) فنرى (بلقيس) تنجب ولدها (يحيا) في ليلة كانونية مظلمة في الوقت الذي كان فيه أبوه (منصور) (( يخوص في المياه الطامية بين ارض الكويت وأرض العراق)) [٥٦] ونرى الكاتبة تتناول في هذه الرواية ما أفرزته هذه الحرب من فقر وخراب اقتصادي بسبب الحصار الذي فرضته الدول الكبرى بعد حرب الخليج الثانية ونرى الكاتبة لا تنتقد النظام السابق بصورة مباشرة ولكنها من خلال المقارنة بين الفقر الذي تعاني منه (بلقيس) والرفاهية التي يتمتع بها الرئيس السابق نشعر بانتقادها اللاذع . إذ يخبرنا الراوي بان (بلقيس) نصبت صينية زكريا لـ (يحيا) و (( كان البيت قد أمحل ولم تجد أمه ما تضعه في صينية الزكريا سوى القليل من ورق الياس وإبريقه الفخاري القديم ، الذي زرعت في فمه حفنه من الشعير )) [٥٧] بينما يخبرنا الراوي عن حفلة عيد الميلاد الرئيس السابق (( التفتت بلقيس إلى التلفزيون ، وفيه وجدوا كيكة عملاقة غرقى بالفستق الأخضر ومصنوعة على

شكل شجرة ، والأطفال حولها يرتدون ملابس زاهية ويغنون (هابي بيرث داي تو يو .. هابي بيرث داي يا مناضل .. هابي بيث داي تويو) والكيكة تلك المخلوقة العجيبة تجلس في مكان كبير بين الأطفال، الذين يرقصون بينما يحيا ينظر إليهم)) [٥٨]. وكما فقدت (بلقيس) زوجها في حرب الكويت تفقد ابنها (يحيا) خلال ( حرب الخليج الثالثة ) لتستمر معاناتها وآلامها .

أما في روايتيها (حلم وردي فاتح اللون) و ( شاي العروس) فنرى أن أحداثهما تقع ما بعد الحرب الأخيرة(حرب الخليج الثالثة )، فلم تتعرض الكاتبة لموضوع الحرب بشكل مباشر ولكنها عالجت ما أفرزته هذه الحرب من أفكار وتيارات – في غاية الأهمية – اجتاحت المجتمع العراقي بعد الحرب الأخيرة والتي أدت إلى زعزعته وشق وحدته فضلاً عن الخراب السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عمّ البلاد . ففي روايتها ( حلم وردي فاتح اللون ) تعود بطلة الرواية من الجبل الأخضر في ليبيا إلى العراق بعد سقوط بغداد لتجد نفسها وحيدة بعد أن فرَّ جميع أفراد عائلتها إلى مصر والأردن وسورية فتضطرها الظروف أن تستأجر بيتا مدة مؤقتة لحين عودة عائلتها ليتم شملهم من جديد، إذ لا تستطيع العيش وحيدة في بيت أهلها في منطقة الغزالية لخطورة هذه المنطقة . ومن ثم تعود إلى عملها في كلية الزراعة في أبي غريب وهي تروي لنا كل ما يدور حولها من أحداث، فهي تسمع بمقتل الطبيب والصيدلي والضابط مثلما يقتل الحلاق وبائع الثلج والخباز – ومنهم من يقتل أكثر من مرة فقد تنهش الكلاب جثته – وتفجير المحلات كما تروي لنا كل ما تشاهده وتلاقيه في طريقها وهي ذاهبة إلى الكلية من حواجز كونكريتية و سيطرات ، فكأن الكاتبة تعرض لنا فلماً وثائقياً عن يوميات مواطن عراقي بعد سقوط بغداد بأسلوب فني . فقد قدمت لنا الكاتبة صورة حية عن يوميات المواطن العراقي في تلك الفترة التي أعقبت السقوط و ((التي تأخر فيها تشكيل مجلس الحكم تأخراً غير طبيعي بسبب التناحر بين أعضاءه ، كان الإحباط قد اخذ يدب بين الناس ،والصدمة التي ظنوها عابرة وقابلة للتصحيح تتعمق وتتحول إلى صدمات وجاء اليوم المشهود الذي ظهر فيه أقطاب المعارضة السابقة على الشعب العراقي ليطرح كل واحد منهم نفسه على أساس عرقي أو طائفي وليعلنوا ، وهم يضحكون ، يوم سقوط بغداد عيداً وطنياً وعطلة رسمية حدث ذلك بينما الدبابات الأميركية تجوب الشوارع بلا انقطاع وطوابير الوقود تمتد وتمتد وتمتد ... ، والسيارات تبيت في محطات الوقود ، والناس بلا كهرباء ينامون داخل البيوت على بلاط الأرض . بحثاً عن لسعة برد أثناء الليل )) [٥٩] . ثم تظهر شخصية (ياسر) مع والدته المسيحية ( آني ) والتي من خلالها سلطت الكاتبة الضوء على الأفكار والتيارات التي أفرزتها الحرب و بدأت تؤثر على الشباب العراقي وتعرقل مستقبلهم . إذ يأتي (ياسر) وهو حفيد صاحب البيت الذي استأجرته (فادية) مع والدته المسيحية (اني) للاختباء في بيت جده – ظناً منهما بان البيت لا يزال خالياً – لمطاردة القوات الأميركية له لأنه تشاجر مع احد المترجمين واتهمه بالخيانة فقام الأخير بالتبليغ عنه والادعاء بان (ياسر) قد هدده بالقتل. فيقيمان مع (فادية)، وصورت لنا الكاتبة المداهمات المتكررة من الجيش الأميركي لبيت (فادية) بحثاً عن (ياسر) وخشية الأم ( اني ) من أن يلقى القبض على ولدها الوحيد الذي جاءت به من الموصل إلى بغداد ويرى الناقد حسين سرمك حسن أن الكاتبة حوّلت هذه الفاجعة والمعاناة التي تعيشها الكثير من النساء العراقيات إلى لآلئ سردية مشرقة بالخيبة و إيحاءات الفقدان الجسيمة [٦٠] . وبمرور الوقت تنشأ أواصر الحب بين (ياسر) و(فادية) التي تكتشف بان (ياسر) عازف بيانو أرسلته أكاديمية الفنون في بغداد إلى الولايات المتحدة الأميركية للحصول على شهادة الماجستير وكانوا يعدونه لقيادة الفرقة السمفونية ولكنه عاد ليهجر الموسيقى ويترد على الجامع ويقول بان الموسيقى حرام فقد تحول من عازف بيانو إلى متعبد ورع ، وتشتكي والدته إلى (فادية) (( أنا مسيحية وأبوه مسلم ، ونحن الاثنين من أهل الموصل وحماي متزوج من كردية ويعيش معها في دهوك ... ولا ادري كيف انتهينا إلى أن يصبح الدين بيننا مشكلة ؟ )) [٦١] لقد أصبح الدين بالفعل مشكلة بعد احتلال العراق وأصبح الناس يتقاتلون في ما بينهم باسم الدين ويعطون

لأنفسهم التبريرات المختلفة وهذا ما خطط له الغازي مسبقاً وما حاولت الكاتبة إبرازه في هذه الرواية ، فقد بنت الكاتبة فضاء دعائمه الخراب والموت والدماء من خلال تسليطها الضوء على بشاعة ما يرتكبه المحتل بحق الأبرياء وهذا ما نجده في روايتها الأخرى (شاي العروس ) فنجد أن أجواء هذه الرواية لا تختلف كثيراً عن أجواء روايتها السابقة ( حلم وردي فاتح اللون ) فأحداثها أيضاً تدور بعد سقوط بغداد ولا تخلو هذه الرواية أيضاً من مشاهد الخراب والدماء والموت التي شاعت في البلد بعد دخول المحتل . إذ تتحدث الرواية عن طفل أعمى منذ عمر السادسة يبصر فجأة ليرى وجه شاب جميلا في المرآة وهو وجهه ثم يكتشف بعد ذلك جمال العالم بعينيه بعد أن كان يستكشفه بيديه وأذنيه، وشيئاً فشيئاً يصطدم بالواقع فيجد القبح في كل مكان بدل الجمال الذي رآه أول مرة فيهتز إيمانه أمام الموت البشع للناس . و يذهب إلى الجامع لرؤية شيخه الذي كان يعلمه عندما كان صغيراً فيحذره صديقه (عصام) من تكرار ذلك فيجيبه محمود :(( – لا أظنهم سيقتلون رجلاً أعمى بل يقتلون العامي والشامي. وحمداً لله انك لا تحمل اسم عمر أو علي))[٦٢] . كما يذهب إلى الدير لرؤية أستاذه ( ألبير) الذي كان يدرسه الموسيقى . ووحده القدر الذي أنجاه من انفجار هائل هزّ الدير راح ضحيته طفل صغير تمزق إلى أشلاء مع سائق التكسي . فتألم(محمود) كثيراً لرؤية هذا المنظر حتى انه اخبر (عصام) بما رأت عيناه ونصحه الأخير بالسفر إلى الخارج ((لم تر شيئاً بعد من الدماء والأشلاء . إن الناس تموت بالجملة كل يوم ، (...) فقل لي بالله عليك ما ذنب هؤلاء الناس ؟ ومن هو الخاطئ السماوات أم الأرض ؟)) [٦٣] .

ونلاحظ أن شخصية (محمود) تقترب من شخصية (ياسر) في ( حلم وردي فاتح اللون) فـ (محمود) أيضاً شخصية مثقفة برغم فقدان بصره فقد درس في معهد المكفوفين وكانت عمته تقرأ له الجغرافية والتاريخ وعشرات الكتب ، كما انه درس الموسيقى الشرقية في المعهد وتعلم العزف على العود وأصبح منشداً للاغاني الوطنية ، كما ان كليهما يسافران إلى الخارج ويصطدمان بتناقضات الغرب .

وفي رواية ( عندما تستيقظ الرائحة ) لدُنى غالي نرى ان أحداث الرواية تدور في الدنمارك وفي كوبنهاغن تحديداً الا أن الحرب هي الخلفية التي تقوم عليها الرواية اذ لم تستطع شخصيات الرواية التخلص من ذكريات الحرب المؤلمة التي كانت تنغّص عليهم الاندماج مع العالم الجديد في البلدان التي ذهبوا إليها، فها هي(مروة البصري) تبكي منهارة وهي تستذكر أمام الطبيبة النفسية حادثة مقتل أخت(رضا) مع طفليها في السيارة أثر سقوط قذيفة قصدتهم ((بلا إنذار فماتوا جميعاً في التاكسي))[٦٤] وهم في طريقهم إلى صالة الحفل لحضور عرس (رضا) و (نهلة) . هذه الحادثة التي قبلت حياة (رضا) رأساً على عقب فـ (رضا) الذي كان يأمل حتى لحظة تخرجه انتهاء الحرب (( تلك المزحة التي لم يصدقها احد مسخرة )) [٦٥] ولكن الحرب تطول وما ان تنتهي تبدأ الأخرى من جديد وكأنها قدر العراقيين الذي لا فرار منه ،فذكريات الحرب التي تنهال على كل من (مروى البصري) و(رضا المولاني) تعيقهما عن التفكير في الغد والاستقرار في المنفى، فحين تسأل الطبيبة النفسية الدنماركية (مروى) عن الغد ((ألا تفكرين بالغد أبداً ؟ )) [٦٦] تجيبها (مروى البصري) (( وماذا افعل بذلك الوطن المالحّ ، البلد مسقط رأسي ، بلد أجدادي جذوري . هل تعرفين هو بحاجة لبعض من التنويع عليه . أودُّ وصفه ،رسمه ، إعادة تشكيله ، نحته لا تخلص من مرارته ، من حنقي عليه وازدرائي له ، لي ! )) [٦٧] . فسبب ازدراء (مروى) لهذا البلد يكمن في عدم قدرتها على نسيانه برغم كل الآلام التي تعرضت لها هناك، فهي تصف لنا لحظات الخوف والرعب التي كانت تنتابها مع (نهلة) أثناء قصف الطائرات وهي في البيت في مدينة البصرة ونجد الشيء نفسه في روايتي (المحبوبات) و (التشهي) لعالية ممدوح، فأحداث الروايتين تدور أيضا خارج العراق إلاّ أن الشخصيات في كلتا الروايتين تعاني التأزم النفسي ليس بسبب الاغتراب فقط وإنما بسبب ما يجري في العراق من موت وخراب ودمار فنرى (سهيلة) في (المحبوبات) تتدهور حالتها الصحية بسبب ما يجري في العراق وتدخل المستشفى فتخبر (انجليك) صديقتها الفرنسية (نادر) عن والدته ((أثناء الحرب ، كان بلدكم يُضرب من الجميع ،

حتى من فرنسا. نزلت إليها فجراً، وشاهدتها تبكي بصمت ، عانقتها وبكينا معاً في الممر.كانت أمك أكثر خجلاً مني لكنها لم تتفوه بكلمة.)) [٦٨] ف (سهيلة) تتابع أخبار العراق عن طريق التلفاز والصحف (( أخبار هذا الصباح والذي سبقه لا تتغير. سيضرب البلد ثانية، هكذا بلا مواعيد. يقولون عما قريب، في ما بعد ، الآن، في أية لحظة. ( ...) يقول المذيع ليس تماماً بعد . متى، هذا الشهر ديسمبر، في رأس السنة. قبلها)) [٦٩] هذا التخوف من موعد الحرب والقلق المستمر الذي تعيشه (سهيلة) هو أمر طبيعي لمعرفتها مسبقا مقدار الكوارث التي تسببها الحروب لمعاصرتها للحروب الماضية التي مرت على العراق والتي بسببها فقدت زوجها الضابط العسكري. أما أبنها (نادر) فيرجع سبب فشل علاقته مع (ليال) اللبنانية الأصل إلى الحرب، اذ تخبره (ليال) (( أنا هاربة من الحرب وأنت قادم منها، الحرب بيننا يا نادر، فلماذا لا تصدق ذلك؟ الأمر لا يعنيك ولا يعنيني فقط. نحن نعيش بين الأموات أكثر مما نعيش بين الأحياء)) [٧٠] أما في روايتها (التشهي) فنجد (ألف) تحدث (سرمد) عن الحرب الأخيرة (حرب الخليج الثالثة ) وما تركه الاحتلال من دمار عن طريق أشرطة التسجيل (( الشقر دخلوا مدينتنا. أضافت حتى السود والصفر والسمر شقر أيضا. (...) أن القتل هو الذي حضر ووضعهم في سلتّه. يصدّقون، فما عليهم إلا أن يصدّقوا. ذاك هو القدر، ما يقولون عنه بالغاشم))[٧١] و الكاتبة لا تكتفي برصد الخراب المادي للمكان فترصد لنا الخراب النفسي الذي خلّفه دخول الجيش الأميركي إلى العراق وما حلّ بمصير البلد وأفراده فتخبر (ألف) (سرمد) في آخر صفحة من الرواية بأن (( لا أحد يعود للمنازل. لا أطباق تنتظر من يلتهمها. لا عيون تنظر للبعيد بانتظار أحدهم يبتسم يعود أو يمّر حتى. لا شبابيك تتلألأ ليلاً بضوء الشموع ولا قبلات نسمعها قادمة باتجاهنا. تعلّمنا كيف نبتلع الدموع فنرقبهم وهم يضحّون ثلاثة أنواع من السموم القاتلة في عروقنا ومع هذا لا يقضى علينا))[٧٢] وبهذا تكون الحرب هي خاتمة الرواية

## الخاتمة

بعد دراستنا لموضوع الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج من عام (٢٠٠٣ -٢٠١٠ ) توصلنا إلى النتائج الآتية:

١- اغلب إبطال الروايات في هذه المرحلة هم من النساء ولعل السبب يعود إلى كون هذه الروايات كتبتها النساء ولذلك وجدنا اهتماماً ملحوظا بالمرأة

٢- اغلب روائيات هذه المرحلة أعطين للحرب صفة الديمومة والاستمرارية وعدم الانقطاع.

٣- الشخصيات في روايات هذه المرحلة تخيم عليها ملامح الكآبة واليأس فضلاً عن التشاؤم والسوداوية، فهي شخصيات مأزومة محبطة، فكرياً ونفسيا تشعر بالضياع وتحاول دائماً البحث عن الاستقرار

٤- ابتعاد روائيات الخارج في هذه المرحلة عن استخدام أساليب الترميز والتلميح في انتقاد الحقبة السابقة وذلك بسبب تغير الأوضاع السياسية في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ولكن هذا لا يعني عدم وجوده في روايات هذه المرحلة

٥- طغيان المضمون السياسي على الموضوعات والمضامين الأخرى في روايات هذه المرحلة فلم تستطع الكاتبات التخلص من سلطة المرحلة .

٦- ظهور الزمن التاريخي واضحا في روايات هذه المرحلة إذ تدور اغلب الأحداث خلال زمن الحروب التي شهدها العراقيين

## الهوامش

(١) ينظر العالم الروائي لعالية ممدوح ،زاق هديل عبد الرزاق احمد ،رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد،٢٠١٠م ، ص٥٣

(٢) تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية ( ١٨٨٥- ٢٠٠٤ )،نزيه

نزيه أبو نضال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ودار الفارس للنشر والتوزيع ،الأردن ،

ط١ ،٢٠٠٤ ، ص١١ .

(٣) و(٤) ينظر: العالم الروائي ص ٥١ و٥٢و٥٤

(٥) ينظر: رواية ما بعد الحبّ ،هدية حسين ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ،٢٠٠٣ ،ص١٤٠ -١٤٨ .

(٦) في الطريق إليهم ، هدية حسين ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ،ط١ ،٢٠٠٣ ، ص٦٩ .

(٧) في الطريق إليهم ، ص١١١ .

(8) ينظر: في الطريق إليهم ، ص ١٠٥ – ١٠٦ – ١٠٧ و ١١٣ و١١٤ .

(9) الرواية ، ص٨٥ .

(10) ينظر: الرواية ، ص٨٩.

(١١) في الطريق إليهم ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(١٢) في الطريق إليهم ، ص ٨٥ .

(١٣) في الطريق إليهم ، ص ٧٣ .

(١٤) نساء العتبات ،هدية حسين ، دار فضاءات للنشر والتوزيع ،عمّان ،ط١ ، ٢٠١٠، ص٩٤ .

(١٥) الرواية ، ص١٨٣ ،

(١٦) الرواية ، ص١٢٥ .

(١٧) الرواية ، ص ١٦٤ .

(١٨) الرواية ،ص١٩٧ .

(١٩) الرواية ، ص ١٠٧ — ١٠٨.

(٢٠) نساء العتبات ، ص١٦٢ .

(٢١) الرواية ، ص٨٢ .

(٢٢) الرواية ، ص١٦٦ .

(٢٣) و(٢٤) الرواية ، ص٨١ .

(٢٥) نساء العتبات ، ص ٨٢ .

(٢٦) ينظر: الرواية ، ص٨٣ .

(٢٧) الرواية ، ص ١٢٠ .

(٢٨) الرواية ، ص١٤٩ .

(٢٩) نساء العتبات ، ص١٢٠ .

(٣٠) الرواية ،ص١٢ .

(٣١) الرواية ، ص١٣٢ .

(٣٢) نساء العتبات ، ص٢١٤١ .

(٣٣) ما بعد الحب ، ص٦٩

(٣٤) الرواية ، ص١٣ .

(٣٥) الرواية ، ص٧٩ .

(٣٦) الرواية ، ص١٣٦ .

(٣٧) الرواية ،٧٩ .

(٣٨) ما بعد الحب ، ص٥٤ .

(٣٩) الرواية ، ص٤٨ .

(٤٠) ينظر : الرواية ، ص ٢٢ –٢٣ – ٢٤ – ٢٥ .

(٤١) مطر الله ، هدية حسين، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، توزيع دار الفارس للنشر والتوزيع ،عمّان ، ط١ ،٢٠٠٨ ، ص١٠٨ .

(٤٢) غايب ، بتول الخضيري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ودار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط٣ ، ٢٠٠٧ .ص١٢ .

(٤٣) الرواية ، ص٥٩ .

(٤٤) سواقي القلوب ،انعأم كجة جي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٥، ص١٥٣ .

(٤٥) الرواية ، ص١٥٢ .

(٤٦) الرواية ، ص١٥٣ .

(٤٧) سواقي القلوب ، ص١٧٤ .

(٤٨) و(٤٨) و(٤٩) الرواية ، ص١٧٥ .

(٥٠) الحفيدة الأميركية ، انعأم كجه جي ،دار الجديد ، بيروت – لبنان ، ط٢ ،٢٠٠٩ ، ص١٥١ .

(٥١) و(٥٢) الرواية ، ص١٥٠ .

(٥٢) الحدود البريّة ، ميسلون هادي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ،الأردن ، ط١ ، ص٥٧ – ٥٨ .

(٥٣) الرواية ، ص٥٨. وينظر: ص٥٩ .

(٥٤) نبوءة فرعون ،ميسلون هادي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ،عمّان ،ط١ ، ٢٠١٠ ، ص٧ .

(٥٥) الرواية ، ص٢٩ .

(٥٦) نبوءة فرعون ، ص٢٧ .

(٥٧) حلم وردي فاتح اللون ، ميسلون هادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دار الفارس للنشر والتوزيع عمّان ط١، ٢٠٠٩ ، ص١١٦ .

(٥٨) ينظر : حلم الشدائد الفاجعة الوردي اللون ، حسين سرمك حسن WWW. Newsaban .com

(٥٩) حلم وردي فاتح اللون ، ص٩٨ .

(٦٠) شاي العروس ،ميسلون هادي ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمّان ،ط١ ،٢٠١٠ ، ص٦٩ .

(٦١) الرواية ، ص١٢٨ .

(٦٢) عندما تستيقظ الرائحة ، دُنى غالي ،دار المدى للثقافة والنشر ،سورية ولبنان ،ط١ ،٢٠٠٦ ، ص٨٩ .

(٦٣) الرواية ، ص٧٢ .

(٦٤) و (٦٥) الرواية ، ص٢٩ .

(٦٦) المحبوبات ، عالية ممدوح ، دار الساقي ،بيروت ،ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص١٢٩ .

(٦٧) الرواية ، ص٢٠٥ .

(٦٨) الرواية ، ص٢٠١ .

(٦٩) التشهّي ، عالية ممدوح ، دار الاداب ، بيروت — لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص٢١٨ .

(٧٠) الرواية ،ص٢٧٠.

(٧١) غائب طعمة فرمان ادب المنفى والحنين إلى الوطن ، د. أحمد نعمان ، دار المدى للثقافة والنشر دمشق وبيروت ، ١٩٩٦ ، ص٣٤.

## المصادر والمراجع


١- التشهي ،عالية ممدوح ،دار الآداب ،بيروت – لبنان ،ط٢ ، ٢٠٠٩ .

٢-تمرد الانثى في رواية المرأة المرأة العربية وبلوغرافيا الرواية النسوية العربية ( ١٨٨٥- ٢٠٠٤ )،نزيه

نزيه ابو نضال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ودار الفارس للنشر والتوزيع ،الأردن ،

ط١ ،٢٠٠٤

٣- الحدود البرية ،ميسلون ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ،ط١ ،٢٠٠٤ .

**٤- الحفيدة الأميركية ،إنعأم كجه جي ،دار الجديد ،بيروت – لبنان ،ط٢ ،٢٠٠٩** . ٥- حلم وردي فاتح اللون ،ميسلون هادي ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،

دار الفارس للنشر والتوزيع ،الأردن ،ط١ ، ٢٠٠٥ .

٦- سواقي القلوب ،إنعام كجه جي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيوت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ،٢٠٠٥ .

٧ – شاي العروس، ميسلون هادي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ،٢٠٠٦ .

٨-العالم الروائي لعالية ممدوح ، هديل عبد الرزاق أحمد ، رسالة ماجستير ،كلية الاداب ،جأمعة بغداد ، ٢٠١٠

٩ – عندما تستيقظ الرائحة ،دنى غالي ،دار المدى للثقافة والنشر ،سورية ولبنان ،ط١ ،٢٠٠٦ .

١٠- غايب ،بتول الخضيري ،المؤسسة العربية للدراسات ،بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ،عمّان،

ط٣ ،٢٠٠٣ .

١١- في الطريق إليهم ،هدية حسين ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمّان ،ط١ ، ٢٠٠٤ .